

يوميات بحار

(٢)

الثلاثاء : ٢١ أكتوبر .

الخميس : ٣٠ أكتوبر

للك الله هواء البحر الطليق نعمة المولى وصورة من لطفه
لأناس جربوا العطف والحنان في هذا البلقع المضطرب . لكن
أفى استطاعتك أن تسد النقص في قلة الغذاء والعلاج على ظهور
مراكب تبحر إلى الهند وفي أثناء رحلتها قد يحدث — بل
كثيراً ما يحدث — أن يصاب عدد من أنفارها بمرض أو علة
كما حدث على سفينتنا هذا العام . فقد اشتدت العلة على صديق
لى شاب يتدفق نشاطاً وحيوية فيا لهول ما لقي المسكين من
متاعب . فلا دواء ولا مداوى ولا عناية ترجى حين يختبط
المحيط ويقوم الجمع لينقذ السفينة من برائن هذا الغول الهائج
لقد كان عزاءه الوحيد هو مواساتنا له وحنونا عليه معشر
زملائه .

يا لطيتهم أبناء السندباد لكم حرموا أنفسهم من لذيذ
النوم ليؤنسوه في خلوته ويواسوه في محنته ، وضنوا على أنفسهم
بالراحة ابتغاء إدخال الاطمئنان إلى نفسه . لكن لا عاطفتهم
ولا مواساتهم وحنوهم بل ولا تضحياتهم قد تفيد ، فلقد سبق
السيف الغدل وأناخت العلة عليه واشتدت نوباتها حتى كان
ذات ليلة وكنت أجلس حواليه فقال لى : إني أحس بقصبتين
قويتين تطبقان على عنقي وتحبسان أنفاسى . . إني أموت ،
لقد قربت مني . . لكن هل أطمع أن تؤدى لى خدمة
بسيطة وغالية على نفسى . . أختى لقد طلبت منى عروساً مزينة
لتلهو بها . . آه لن أرى ابتسامتها الساذجة حين تضفر بها .
وأى لقد طلبت منى ثوباً أسود . . ترى هل ستفرح به ،
مسكينة ستلبسه حداداً على . فرجائى أن تحبب رغبتهما نيابة
عنى فعهدى بك أخاً صادق الحب » ولم يبت المسكين ليلته
فقد أسلم الروح بعد قليل ومات بين أيدينا ولم يك فى استطاعتنا
عمل شئ له فلا طبيب على السفينة ولا دواء . يا لفجيعة عائلته
به . ترى هل سيعوضهم الربان لكن بأى مال تعوض
فلذات الأكباد .

« بر يا جماعة بر . . . » ما كدنا نسمع هذه الجملة حتى
ترك كل منا ما فى يده ، واشترأبت الأعناق وتطلعت العيون
لترى ذلك الشئ الذى افتقدته طول الشهرين — الأرض —
آه لو يعلم الذين يرتعون على البر ويمرحون كم تغنى هذه الكلمة
لدينا معشر البحارة ، إنها أحلى من الأمل .

ورويداً رويداً بدت لنا الأرض ، وقليلًا قليلًا برزت
العارات والجبال كأشباح وسط الضباب لاتتبين العين منها
سوى أطياف ، ولم نلبث أن أحطنا بزوارق تحمل بعض
بحارة السفن التى سبقتنا فى الوصول . هبوا ملاقاتنا حين
عرفوا السفينة فتبادلنا وإياهم التحيات وصحبونا إلى الميناء .
الجمعة ٣١ أكتوبر .

« تعب كلها الحياة . . » صدق أبو العلاء فلم نكد
نفرح بوطئنا البر حتى ابتدأ العذاب الثانى ، ابتدأنا فى صبيحة
اليوم الثانى فى إزال الحمولة ولولا معونة بحارة السفن الأخرى
لما انتهينا منه فى يوم واحد ، يا لنفوس البحارة الكبيرة لقد
تقاطروا علينا من كل حذب وصوب ليعينونا ويشاركونا
فى تعبنا وما أطيها من روح حقاً إن المرء ليشعر برباط وثيق
مقدس يربطه بهم وليت هذا الشعور ينتشر بين الناس إذاً
لما وجدت هذا التناحر ولتلاشت روح العدوان والبغضاء
بينهم وعاشوا فى سلام .

السبت : ١ نوفمبر

شئ واحد كان يشغلنى طوال المدة الأخيرة : هو أن
أرضى روح الزميل الراحل وأكون عند حسن ظنه وأشتري
العروسة لأخته الصغيرة والثوب الأسود لأمه لقد اشتريتهما
وعرفت أن أكون بمثابة الولد والأخ لعائلته المفجوعة
وسأذكر ما حيت آخر ما قاله لى « أوى وأختى ترى ماذا
همفاعلون إذا عرفوا الخبر يا إلهى الطف بهم وألهمهم السلوان »
عاشق اليابسة (يتبع)